أصحاب الفيل وحماية الله للبيت الحرام

الخطبة الأولى **١٤١٠/٢/٢٩ هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

أما بعد: فلقد امْتَنَّ الله بنعم كثيرة على المؤمنين عامة وعلى قريش وأهل مكة خاصة، ومن أهمها: نعمةُ الأمن لبيت الله الحرام ومَنْ جَاوَرَهُ، هذا البلد الأمين الذي أقسم الله به في آيات من القرآن الكريم ،مثل: قوله تعالى:((لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢)).[البلد:١، ٢]، وقوله تعالى:((وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣)).[التين:١-٣] فالبلد: هو مكة المكرمة، وفيها بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض ليكون مثابة لهم وأمناً، يضعون عنده سلاحهم وخصوماتهم وعداواتهم، ويلتقون فيه مسالمين،حراماً بعضهم على بعض، كما أنَّ البيتَ وشجرَه وطيرَه وكلَّ حَيٍّ فيه حرامٌ إيذَاؤُهُمْ ، ثم هو بيت إبراهيم والد إسماعيل أبي العرب وقدوة المسلمين أجمعين. كما قال تعالى:((**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤**)).[الممتحنة:٤]، وقال سبحانه وبحمده :((**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ**

إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ)).[الحج:٧٨]، وقال عز وجل:((وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠))[البقرة:١٣٠].

والآن مع استعراضٍ سريعٍ لسورة الفيل، ومن أراد التوضيح والاستزادة فعليه بكتب السيرة وكتب التفسير عن هذه الآيات وغيرها، ففي سورة الفيل إشارة إلى حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة عظيم الدلالة على رعاية الله وحمايته لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور ومَحْضِنَ العقيدة الجديدة.

وخلاصة قصة أصحاب الفيل أن الحاكم الحبشي لليمن ـــ في الفترة التي خضعت فيها اليمن لحكم الحبشة بعد طرد الحكم الفارسي منها ـــ الحاكم المسمى: أَبْرَهَة، كان قد بنى كنيسة في اليمن باسم ملك الحبشة وجمع لها كل أسباب الفخامة والفخر والخيلاء من أجل أن يصرف بها العرب عن البيت الحرام في مكة. وكانت في العرب نَخْوَةٌ وشَهَامَةٌ ولا زالت في بعضهم، فلما سمع العرب ومنهم قريش ببناء الكنيسة في اليمن غضبوا غضباً شديداً، فذهب رجل قرشي إليها فدخلها وتَغَوَّطَ فيها غضباً منه لفعل أبرهة من إرادته صرف العرب عن الكعبة في مكة إلى الكنيسة في اليمن، فلما رأى السَّدَنَةُ ذلك الْحَدَثَ من هذا القرشي رفعوا أمره إلى أبرهة فعزم عندها أبرهة على هدم الكعبة ،وقاد جيشاً جرّاراً من الأحباش تصاحبه الفِيَلَة، وفي مقدمتها فيل عظيم ذو شهرة خاصة عندهم، فتسامع العرب به وبقصده، وعَزَّ عليهم أن يتوجه لهدم كعبتهم، فوقف في طريقه

رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يُقَالُ له ذُو نَفْر فـــدعا قومـــه إلى حرب أبرهة وجهاده وصَدِّهِ عن البيت الحرام، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، ولكنه هُزِمَ وأخذه أبرهة أسيراً . ثم وقف له في الطريق كذلك نُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي في قبيلتين من العرب ومعهم عرب كثير أيضاً، فهزمهم أبرهة، وأَسَرَ نفيلَ بن حبيب وأخذه معه، حـــتى إذا مَـــرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتّب في رجال من ثقيف فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خـــلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد ـــ يعنون اللات الذي كان في الطائف يعبدونه ويعظمونه تعظيم الكعبة ـــ إنما تريد البيت الذي بمكـــة، ونحـــن نبعث معك مَنْ يَدُلُّكَ عليه، فتجاوز عنهم، وبعثوا معه أَبَا رِغَالٍ حتى أنزله الْمُغَمَّس قرب مكة، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فَرَجَمَتِ العربُ قبرَه بعد ذلك بسبب ما أقدم عليه من الدلالة لأبرهة على الكعبة، وأغار جيش أبرهة على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأصابوا فيها مائتي بعير لعبدالمطلب بن هاشم ـــ وهو يومئذٍ كبير قريش وسيدها ـــ ثم حضر إلى أبرهة فَأَجَلَّهُ وأعظمه وأكرمه من أن يجلس تحته كما ورد في الروايـــات، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير مُلْكِهِ فنزل أبرهة عن ســـريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جانبه، ثم قال لترجمانه: قل له: مـــا حاجتك؟ فقال: حاجتي أنْ يَرُدَّ عليَّ مائتي بعير أصابها لي. فلما قال ذلك، قال أبرهة لترجمانه قل له: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ قال له عبدالمطلب: إني

أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال أبرهة:ما كان ليمتنع مني، قال عبدالمطلب:أنت وذاك. فردّ عليه إبله، ثم انصرف عبدالمطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال، ثم قام عبدالمطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وخرجوا إلى رؤوس الجبال . أما أبرهة فَوَجَّهَ جيشَه وأَفْيَالَهُ لما جاء له، وفيهم الفيل المسمى محمود قائدها فَبَرَكَ دون مكة لا يدخلها وتَعِبُوا في ضَرْبِهِ على أن يتّجه لمكة و لم يفلحوا في ذلك حتى روي أنهم إذا وجهوه إلى أي جهة ينصرف ويقوم إلا جهة مكة فإنه يبرك ولا يتحرك مهما قهروه وعملوا فيه. وهذه الحادثة ثابتة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين بركت ناقته القصواء دون مكة، فقالوا: خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، أي: حَرَنَتْ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ما خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ وما ذاك لها بِخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل**...))وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة:((**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فَلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ**)). ثم كان ما أراد الله من إهلاك الجيش وقائده فأرسل الله عليهم جماعات من الطير الأبابيل ترميهم بحجارة صغيرة فيما بين العدس والحمص حتى أهلكتهم وتركتهم كورق الزرع المأكول وتساقطت لحومهم أنملة أنملة وجعلهم الله عبرة للمعتبرين، وليتذكر المؤمنون نعمة الله عليهم وحمايته لبيته الحرام مهما كاد الأعداء له ودبروا وخططوا على مر السنين والأعوام، وأنزل الله في ذلك قرآناً يُتلى

إلى يوم القيامة وسورة سميت بسورة الفيل وغيرها من الآيات التي تذكّر بنعمة الأمن في هذا البلد الحرام وأن الله سيمنعه بمنّه وقدرته سبحانه وتعالى فهو يعطي المهلة والإمهال لمن تسوّل له نفسه بإلحاد في بيته الحرام حتى يعتقدَ كلُّ مُخَرِّبٍ بأنه بلغ مقصوده أو قارب ولكن الله له بالمرصاد يأخذه سبحانه أَخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ لِيُنَكِّلَ به ويجعله آية تبلغ العالم أجمع ليرتدعَ كلُّ مفسد يريد الإخلال بأمن هذا البلد الحرام أو إلحاق الضرر به وبأهله، وليعلمَ البشرُ بأن الله سيحمي بيته ويمنعه مهما تعالت قوة البشر، أو تخاذلت وتقاعست الدول الإسلامية عن حماية البيت الحرام. فهو سبحانه الذي تكفل بأمنه وحمايته وجعل من عباده المؤمنين على مَرِّ السنين من يقوم بحمايته في الظاهر ولكن عناية الله فوق ذلك.

وهذه بعض آيات القرآن الكريم الذي((**لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ۝٤٢)).[فصلت:٤٢]، قال تعالى:((**أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ** ۝٦٧)).[العنكبوت:٦٧]، وقال تعالى عن دعاء إبراهيم عليه السلام:((**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ** ۝١٢٦)).[البقرة:١٢٦]، وقال عز وجل:((**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ** ۝٣٥)).[إبراهيم:٣٥]، وقال سبحانه:((**أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ۝٥٧)).[القصص:٥٧]، وقال تعالى:((**لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ** ۝١ **وَأَنتَ حِلٌّ**

بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢)).[البلد:١، ٢]، وقال سبحانه:((وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣)).[التين:١-٣]، وقال عز وجل:((فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤)).[قريش:٣، ٤]، وينبغي لكل مسلم التدبر والتأمل في معاني وتفسير آيات سورة قريش وسورة الفيل خاصة وغيرها بصفة عامة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:((أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥)).[الفيل:١-٥].

أصحاب الفيل وحماية الله للبيت الحرام

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد:فمعلوم لدى كل مؤمن بالله أنّ أقدس بقعة على وجه الأرض هي مكة المكرمة، البيت الحرام وما جاوره من الحرم، ويجب على كل مسلم ومسلمة تقديسه واحترام حرمته ومعرفة مكانته وعدم انتهاك المحرمات فيه وفي غيره، والسيئات فيه أعظم من غيره ، وأقول أعظم وليس أكثر في العدد ، كما أن الحسنات تضاعف فيه بفضل الله ورحمته، ويجب على

كل مسلم حمايته، ومن حمايته: أن يكون هو رجل أمن يخبر عن أي مَكْرٍ وفساد يريد أهل الشر والفساد أن يفعلوه حول بيت الله الحرام وغيره، وليعلم بأن الله سيحمي بيته سواءٌ قام المسلم بواجبه نحو ذلك أَمْ لم يقم بذلك فهو تحصيل حاصل . وهذا ما نجده في آيات القرآن الكريم من حماية الله لبيته الحرام وسَوْق الرزق له من أرجاء المعمورة ، وهذه مِنَّةٌ عظيمةٌ يَمْتَنُّ اللهُ تعالى بها على أهل بيته حتى الكفار منهم فهو يمتعهم في هذه الحياة الدنيا وهو المتاع القليل بالنسبة لمتاع الآخرة ولكنه يضطرهم إلى عذاب النار وبئس المصير. وخطبة الجمعة عادة لا تكفي لإعطاء الموضوع حقه من البيان والتوضيح لِنُفْرَةِ الناس من ذلك ومَلَلِهِمْ من عشرين دقيقة في الخطبتين ، مع أنهم يقضون الساعات الطويلة في اللهو واللعب والسهر ولا يَمَلُّونَ. نعوذ بالله من زيغ القلوب وفسادها. ولو لم يكن في القرآن الكريم إلا هذه الآية عن هذا البلد الآمن بإذن الله لكفت كل مسلمٍ وَاثِقٍ بنصر الله وعدله وحكمته وقضائه وقدره ، ولكن الآيات المؤكدة بالقسم وغيره وردت بهذا، قال تعالى:((أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾)).

[القصص:٥٧]، نعم إن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إن أكثر الناس لا يعلم ذلك التمكين للحرم الآمن ولا لجلب الرزق لهذا الوادي الذي ليس فيه زرع، وعدم العلم لأغلب الناس من عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة. فالناس من حول هذه البقعة الطاهرة في خوف وقلق وهو يعيش هذا الأمن المحسود

عليه من جميع الأمم على مر السنين، يقول الله تعالى عن ذلك:((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾)).[العنكبوت:٦٧]، فنعمة الأمن من أكبر النعم وأعظمها بعد نعمة الإسلام التي يجب الإيمان والتصديق بها وعدم جحودها وكفرانها. وقد مَرَّ بنا ذكر آيات من القرآن الكريم ومنها: قوله تعالى:((وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾)).

[البقرة:١٢٦].وعلى المسلم أن يستفيد دروساً وعظات وعبراً مما يَمُرُّ من الأحداث سواء حول الحرم أو غيره، وعليه أن يثق ويعتقد بأن الله سيحمي بيته ويفضح من يريد به سوءاً على مرأى ومسمع من العالم ليكون عبرة لغيره، وسواءٌ كان هذا الحاقد ممن يتسمّى بالإسلام ، والإسلام منه بريء ، أو من غيره من الأعداء، فالله له بالمرصاد ويمهله حتى آخر لحظة يفرح فيها بأنه بلغ هدفه ثم يفضحه سبحانه ويُمَكِّنَ منه للقصاص والجزاء العادل الذي هو من جنس العمل ، وعلى كل شابٍ مسلم في أي بقعة من الأرض أن يستفيد درساً من أولئك الشباب المتهورين الذين لم يمروا بتجارب الحياة و لم تكن لديهم الخلفية والتفكير في عواقب الأمور وعن مقاصد وأهداف أولئك الشرذمة ومَنْ وراءَهم حيث أغروهم بالأموال والمناصب الزائلة التي اندفعوا لطلبها، وخسروها وخسروا دينهم، مع أن عقيدتهم الفاسدة عقيدة الرافضة والخوارج من أخطر ما يكون على الإسلام والمسلمين. وهكذا على مر السنين يستخدم

أصحابُ الأهداف والتنظيمات السياسية والانتقامية والانقلابية والفوضوية يستخدمون الشبابَ لأغراض ينبغي ألا تخفى على كل مسلمٍ فطنٍ يخاف من الله ومن أليم عقابه ويرجو من الله حسن الثواب.

قال تعالى:((مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾)).

[الروم:٣١، ٣٢]،وقال عز وجل: ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)).[الأنعام:١٥٩].وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.